1- تصور الزمان:

قد ورد الدهر في لسان العرب بمعنىِ الزمان الطويل ومدة الحياة الدنيا، وقال شمر: الدهر والزمان واحد، قال أبو الهيثم: أخطأ شمر الزمان زمان الرطب والفاكهة وزمان الحر والبرد، قال ويكون الزمان شهرين إلى ستة أشهر، قال: والدهر لا ينقطع، قال أبو منصور: الدهر عند العرب يقع على وقت الزمان من الأزمنة وعلى مدة الدنيا كلها.(1)

وتحدث الذكر الحكيم عنه كذلك في آيات منها قوله تعالى:﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾(2) فجعل القوم يرون أن هذا الدهر ما هو إلا عادات وما جرى على رسوم الليل والنهار يموت أناس، ويحيا أناس ومن مات فليس يرجع إلى الله.

ومن خلال القصيدة نقسم رؤية الشاعر للزمن إلى قسمين؛ رؤية تشاؤمية، ورؤية يقينية:

أ/الرؤية التشاؤمية:

ويتخلله البكاء عن الشباب و«إن الحديث عن وطأة الشيب وما يتركه من ندوب غائرة في وجدان الشاعر وحياته الراهنة لا يفصل عن حديث الشاعر فيما أمضاه في فتوته وشبابه ولذلك نجد الشيب والشباب يشكلان معا موضوعًا واحدًا متداخلاً يترجم موقف الشاعر إزاء الزمن في لحظة تألم واعتبار، يستسلم فيها إلى استذكار محطات الماضي المفعمة بالبهجة ولذة الحياة هروبا إليها من فعل الزمن التدميري وشراسة اللحظة الراهنة، فيجد في ذكرياته ومغامرات شبابه متعة ولذة يقام بها مظاهر الوهن والشيخوخة وما يكتنفها من عجز وعدم مقدرة على تحقيق ذاته.»(1) والزمن «عدو الشاعر الجاهلي بعامة.»(2)

---

(1) ينظر: ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان،ط3، مادة "زمن"، ص199.

(2) الجاثية (24).

إن الخوف من الشيخوخة إحساس إنساني يتقاطع فيه كل البشر ، كما ينطوي عليه من مظاهر توحي بالغربة النفسية بسبب تغير الأشياء وتحولها من حالة إلى أخرى نتيجة حتمية التجدد ومواكبته تحولات الزمن السريع.

لكن، وفي واقع الأمر، فإن الخوف من الشيخوخة إنما هو جوهرة تعبير عن إحساس المرء بأنه لم (يعد باستطاعته أن يحيا حياة منتجة)، ومتفاعلة مع محيطه كما كان في ريعان الشباب ويتجلى –هذا الخوف في عدم انسجامه مع ذاته ومحيطه، إذ لم يعد بإمكانه توفير ما كان ممكنا من متعة ولهو وفعالية في حياته، كما يحتاج الشعور بتقدم العمر، واتساع الهوة بينه وبين من يعيش بينهم.[1]

فهو يحاول «تحديد الطبيعة المنقلة على نحو يتعذر تحاشيه لتجربة الزمن الإنسانية»[2]

ويظهر هذا في أبيات التي يتحاور فيها مع أميمة يقول:

قَالَتْ أُمَيمَةُ: مَا لِجِسْمِكَ شَاحِبًا

مُنْذُ ابْتُذِلْتَ وَمِثْلُ مَالِكَ يَنْفَعُ

أَمْ مَا لِجَنْبِكَ لاَ يُلاَءِمُ مُضْجَعًا

إِلَّا أَقْضَ عَلَيْكَ ذَاكَ المَضْجَعُ

فَأَجَبْتُهَا: أَمَّا لِجِسْمِي أَنَّهُ

أَوْدَى بَنِيَّ مِنَ البِلاَدِ فَوَدَّعوا [3]

---

(1) مرجع سابق: أدونيس: مقدمة الشعر العربي، ص22.

(2) بول ريكور: الوجود والزمن والسرد، ترجمة سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، (د.ب) ،ط1، 1999م، ص191.

(3) مرجع سابق: مفضل الضبي: المفضليات، ص238.

"والشعور بتقدم السن حالة إنسانية مرتبطة بوجود المرء، ونظرته الوجودية الخاصة لهذا الكون فهو حين يصحو وقد داهمته الشيخوخة يشعر بالتلاشي في غمرة حركية الزمن وتسارعه (وكل خطوة يخطوها على درب العمر تقربه من لحده) ومن ثم تكتسي حياته طابعا تشاؤميا ينعكس في رؤيته للوجود"(1) وميله إلى العزلة والخواء.

لقد استوعب الشاعر الجاهلي هذا الإحساس وصوره تصويرا ناطقا بالآسي في أشعاره.

"إن ما (نسميه بالزمان)، نتحدث عنه ببديهة متسرعة أو كمسلمة مفروغ منها، ليس في الحقيقة إلا الزمن بمعناه النفسي أو من خلال تجربة الإنسان وخبرته، وهذه الأمور – كما يذهب إلى ذلك هانز ميرهوف– لا يمكن قياسها علميا، وإنما تتفاوت من شخص لآخر، بل إنها تختلف لدى الشخص الواحد من وقت لآخر فما هو يقول عند حديثه عن النسبية الذاتية: "القياس، أو مترية الزمن، يتناول اعتبارات بسيطة نسبيا، ونحن جميعا نعرف أن خبراتنا الخاصة تشكل أساسا ضعيفا لقياس الزمن بموضوعه. فهو تارة يمر بسرعة وطورا ببطء، ونحن تارة نعني في عمق كل ثانية تدق، وطورا يبدو علينا النسيان التام، أو اللاوعي بمرور الزمن ومن هنا وجدنا الشعراء منذ أولية الشعر العربي في الجاهلية يطرقون مسألتي الزمان والمكان في أشعارهم طرقا لافتا"(2) "موضحين أثر الزمان على المكان من ناحية ومسبغين على الزمان أوصافا متناقضة بين إيجابية وسلبية من ناحية أخرى وما كان ذلك كذلك إلا لأن نظرتهم إلى الزمن لا تأتي إلا انعكاسا لأحوالهم النفسية وإن العنصرين –الزمان والمكان– تدل أوضح الدلالة على التفاتهم إليهما متبنين أثرهما في حياتهم، مما دعا غير واحد من الدارسين المحدثين للوقوف عند هذه الظاهرة

---

(1) مرجع سابق: المفضّل الضبي، المفضليات، ص 142.

(2) هيثم محمد: البناء الدرامي في القصيدة العباسية –من بشار بن برد إلي المتنبي، دار اليازوني، عمان، ط1 2011م ص 168.

مؤشرين إلى بعدى الزمان والمكان مثل: المستشرق الألماني عز الدين إسماعيل، ويوسف اليوسف".(1)

وإن الزمانية هي التأويل الأنطولوجي للقلق، بل هي مكونة أساس للقلق بوصفه شحنه شعورية تتزامن على نمط كينونتها في العالم هذه الشحنة تختلف جذريا عن الخشية أو الخوف، إنه ... قلق أمام /وعلى....

وبعبارة أدق فالقلق يكشف العدم وهذا ما يؤكده الإنسان نفسه عندما يزول القلق ونجد تاملزمين بالقول، بالنظرة الثاقبة التي تميز الذكرى الحديثة العهد، إن ما قد أثار فينا القلق أمامه وعليه لم يكن شيئا في "الحقيقة" ففي الواقع فإن العدم بذاته –ما هو عدم كان ماثلا هناك.

والكائن في العالم بقدر ما هو موجود متجه نحو الموت لا يستطيع إلا أن يقاسي الموت كإمكانية للمستحيل بدون حدود للوجود فهناك ترقب دائما للموت كإمكانية وميزة صافية.(2)

والموت بوصفه ثغرة لذلك فالكائن في العالم في تقدمه، نحو الموت يفهم نفسه في كلية اللحظات المكون لثغرته.

والشعر بوصفه الخاصية المتعالية التي تجسد القلق، يؤسس للكائن الشعري هذا المعنى الأنطولوجي، الذي يطابق بين الكينونة والموت وهذا ما يمكن أن يعبر عنه من خلال الشحنة الشعرية التي تولد الإحساس بالنقصان. والارتماء أحضان الموت، بوصفه الإمكانية القصوى للالتقاء بالعدم، وباعتباره الواقعة المتوقعة وهذا ما عبر عنه أبي ذؤيب الهذلي:

حَتَّى كَأَنِّي لِلْحَوَادِثِ مَرْوَةُ   بِصَفَا المَشْرِقِ كُلَّ يَوْمٍ تُقْرَعُ

وَالدَّهْرُ لَا يَبْقَى عَلَى حَدَثَانِهِ   جَوْنُ السَّرَاةِ لَهُ جَدَائِدُ أَرْبَعُ(2)

---

(1) – المرجع سابق: هيثم محمد: البناء الدرامي في القصيدة العباسية، ص 169.

(2) مرجع سابق: المفضل الضبي ، المفضليات ،ص239.

"وهناك إشكالية ميتافيزيقية توطن الحزن وتبعثه في قلب الشاعر الجاهلي، بما ينعكس على القصيدة على رأسها إشكالية والزمن وسيرورته القدرية التي تتحدى إرادة الإنسان، وتتحدى نزوعه إلى الحرية إلى الخلود".[1]

"إن الإسراع نحو الموت، هو مولد القلق والحيرة وهذا يعني أن عمل الكائن يضحي موضع تساؤل حول الجدوى المتوخاة منه، والشاعر هو يدرك الكينونة كبنية زمنية أساسها التناهي، فإنه يكشف عن طبيعة الدهر وطبيعة الكائن بوصفها متعارضين: الأول يكتسب سمة الاحتواء والاشتمال، والثاني سمته المحدودية والنهائية أو النقصان وعدم الاكتمال"[2] وهذا ما ورد في البيت الآتي:

كَمْ مِنْ جَمِيعِ الشَّمْلِ مُلْتَئِمُ القُوَى

كَانُوا بِعَيْشٍ قَبْلُنَا فَتَصَدَّعُوا[3]

فالزمن مستمر والناس تفني، وهو اختيار أجيال مرة لتدل على تواصل المستمر للحياة رغم وفاة الأشخاص.

ويمكن التعليق على القصيدة بمعنى أوضح رؤية شاعرنا لقسوة وتشاؤم وجاعت الدهر وهذا ما تبين في هذا المخطط بتكرار (العبارة، الكلمة، الحرف).

(1) كاميليا عبد الفتاح: اشكاليات الوجود الإنساني، دار المطبوعات الجامعية ، الإسكندرية، (د، ط)، 2008، ص 53.

(2) مرجع سابق : المفضل الضبي، المفضليات، ص 179.

(3) المرجع نفسه: ص 239.

النوع	التكرار في النص	العدد	رقم الأبيات
تكرار الحرف	حرف الواو	حوالي 10 مرات	1-7-8-9-12-13-14-16-25-26-30
	حرف الفاء	22 مرة	4-7-8-10-20-23-24-27-28-29-30-31-32-33
	حرف التشبيه	8 مرات	2-11-24-25-26-55-62
تكرار الكلمة	-الدهر -المنون -جنب -ينفع -يوم -ريب -رمي -كف	-6- -3- -3- -4- -6- -4- -4- -3-	1-16-37-51 1-8-9 6-46 11-14-57-60 1-14-12-29 32-34-40-49 30-62
تكرار العبارات	-والدهر لا يبقى على حدثانه -أودى بني	-4- -2-	16-37-51 4-5

حرف عطف يدل على تعقيب وهو يدل على تعاقب الفعل السريع ففي البيت السابع يدل على المباشر للفعل فغبرت بعدهم أي أنهم بمجرد موتهم غير الشاعر مرة وقد تكرر هذا الحرف بصورة مرتفعة مقارنة بالحروف الأخرى ليدل على تعاقب الأحداث وتسارعها.

أما في العبارات فنجد عبارة "والدهر لا يبقى على حدثانه" بصورة كثيرة تصل الى أربع مرات وذلك يدل على حيرة الشاعر من هذا الدهر الذي لا يبقى على احد وهو تأكيد لمصير الكائن الحي وفي كل مرة يبث وراء هذه العبارة قصة مؤثرة ليبرهن على كل من أكثر وأكثر.

أما في الكلمات نجده في كل مرة يكرر لفظة الدهر في أبيات مختلفة ومتباعدة وفي كل مرة يحاول أن يذكرنا بقسوة الدهر وأنه لا يبقى على احد وكأن الدهر هو عدو الإنسان، وفي كل كلمة الدهر ومرتبط به بصورة كبيرة وذلك في الأبيات التالية:

البيت السادس عشر والسابع والثلاثين، والواحد والخمسين.

أما في البيت الأول فورد بان الدهر لن يكترث بما يحس به الإنسان مهما توجع بل هو قاض بما يريده فجعل الدهر يتحكم في الإنسان ما شاء ذلك.

كما نجد تكرر لفظة اليوم ستة مرات أهمها قوله كل يوم تقرع وارتباطها بلفظة كل يدل على الاستمرار فالدهر مستمر في قرع الحوادث.(1)

وقد تكرر هذه اللفظة عدة مرات بهذه الصيغة كما نجد الدهر هنا بمعنى أنه يبحث عن هذا الزمن الهارب وعن الحقيقة وهذا الدهر (يتكرر) وهذا التكرار يدل على حرقه الشاعر بنار الدهر.

"فالزمان مفهوم اجتماعي، يحمل في طياته قيما، وهو في الشعر صورة مجازية، ويقع على جهة (الوصف والتشخيص). وإنما تنسب إليه الأفعال والصفات، وما يشبه طباع الإنسان وخصاله لتقريب المعاني، وتشخيص الأفكار، وتكوين الآراء وتطورها في

---

(1) – ينظر: مرجع سابق ،المفضّل الضبي: المفضليات، ص 238.

سياق الأسلوب الشعري، ولقد أعزب أبي ذؤيب كثيرا في معاني الزمان الدالة على الصفات الإنسانية، من منطلق كون الزمان، قوة لا يمكن التغلب عليها".(1)

ب)الرؤية اليقينية:

والرؤية اليقينية تظهر في محاولة الشاعر تقبلا الواقع المتمثل في فقدانه لأبنائه وشبابه وقد ورد في سياق رثائه لأبنائه الثلاثة الذين ماتوا بالطاعون يقول:

حَتَّى كَأَنِّي للحَوَادِثِ مَرْوَةُ

بِصَفَا المَشْرِقِ كُلَّ يَوْمٍ تُقْرَعُ

وَتَجْلَدِي لِشَامِتِينْ أَرِيهُمُ

أَنِّي لِرَيْبِ الدَّهْرِ لَا أَتَضَعْضَعُ (2)

ولا يغرنك تجلد "أبي ذؤيب" وتعاليه على الموت وريب الدهر فقد أبكاه هذا الدهر مر البكاء.

فَالْعَيْنُ بَعْدَهُمْ كَانَ حِداقُهَا

سُمِلَتْ بِشَوْكٍ فَهِيَ عُورٌ تَدْمَعُ

ولكنه كان يعلم طبيعة الدهر "وليس الدهر بمعتب من يجزع" فما جدوى الجزع إذن إن أبي ذؤيب وهو يشبه نفسه بالصخرة التي تقرعها أقدام الناس أو الدهر كل يوم يتمنى بصورة مضمرة لو كانت له صلابة الصخرة، أو لو كان مثلها تماما إذن لكان أقدر على الصبر والتجلد اللذين كان يحاولهما بشق النفس(. فتفضحه الدموع وحرقة القلب ،وهو حلم الانتصار علي هذا الخصم الغاشم الغامض(3)

(1) حيدر لازم: الزمان والمكان في شعر أبي الطيب المتنبي، دار الصفاء، ط1، 2010، ص 111.

(2) مرجع سابق: المفضل الضبي: المفضليات ص 239.

(3)مرجع سابق:وهب احمد رومية : شعرنا القديم والنقد الجديد ، ص200 .

2/تصور المكان :

لغة: «المكان هو الموضع أو هو مفعل من الكون ج/أمكنة واماكن وأمكن ويقال هذا مكان هذا أي بدله. وكان من العلم والعقل، بمكان أي رتبة ومنزلة»(1)

وفي الشعر يكتسب المكان صورة أخرى ويتصل أكثر بنفسية الشاعر والذكريات والأحداث المؤثرة والتي تحدث في ذلك المكان «ويصبح المكان ذا دلالتين قدسية ووجودية ويلاحظ هذا الترابط البصري بالمكان القدسي».(2)

فالمكان المترابط بالتداعي النفسي هو المكان الذي يقع في الذاكرة ذلك أن المكان الأليف الذي عشنا فيه بيت الطفولة نبقى دائما نستعد ذكراه حتى ولو ابتعدنا عنه(3)

«وقد اهتم النقد القديم كثيرا بجمال المكان، ووقف عند دواعي شغف الشعراء العرب بالمجالات المألوفة والخيالية والمقفرة. فتلك هي ديارهم، مقوما طرائق تناول أشكال هذه الأماكن في الشعر، فلقد اقترن المكان منذ البداية بصورة الواقع، وهو عند أبي ذؤيب نتاج الوعي الاجتماعي والحضاري بالبيئة التي ينتمي إليها ولهذا نستطيع أن نحدد العلاقة بين الواقع والقصيدة عند أبي ذؤيب الهذلي من خلال نظرته للمكان ومزايا الزمان فيه.»(4)

وقد أخذ الحديث عن المكان في الشعر العربي أبعادا مختلفة بحسب زوايا الرؤية التي عالجت من جهة، وبحسب الفهم الذي أنيط به من جهة ثانية، وبحسب المعارف الرافدة التي تؤسس الدراسة، وكل مقاربة للمكان من هذه المنازع إنما قدمت نتائجها الدقيقة التي أعطت للمكان ثقله الفني في البناء الشعري شكلا ومضمونا، حتى غدت مقولة المكان من الخطورة ما يجعلها موضوعة تتشعب إلى رؤية ذات طبيعة ميتافيزيقية بعدما

---

(1) بطرس البستاني: محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، (د، ط)، 1998، ص 859.

(2) زياد محمد إرحيمة : صورة المكان في شعر عز الدين المناصرة ، دار الراية ، الأردن، ط1، 2012، ص 24.

(3) ابن السائح الأخضر :جمالية المكان الفلسطيني ، قراءة في رواية ذاكرة الجسد ، دار الاديب ، وهران ،(د، ط) (د،ت) ،ص 13 .

(4) مرجع سابق:حيدر لازم : الزمان والمكان في شعر ابي الطيب المتنبي ، ص 200.

كانت تدرك فقط في الحدود الجغرافية الاجتماعية والنفسية، ذلك أن المكان في صلته بالذات المبدعة.

يتخذ من الصفات المتشابكة ما يجعله من المقولات الأكثر تعقيدا على مستوى المعني والمبني".[1]

"وإذا كان معظم حديثي –حتى الآن– قد انصب على الزمان فذلك لأنني كما أسلفت أعتقد أن الزمان بالمعنى الفيزيائي يتأبى على التحديد في حين لا يتمتع المكان بمثل هذه الخاصية على الرغم من كونها يعاملان المعاملة نفسها في الخبرة والتجربة الإنسانيتين، ذلك أن الزمان علميا لا يدل عليه بما يبين ما هيته أو كنهته وإنما بما يرتبط به من أحداث وحركات تحدث ضمنه بوحدات وضعت اصطلاحا لقياسه، أو بالإشارة التي يحيل الأشياء إليها، في حين يدل على الأمكنة بأعينها وأسمائها"[2] ويظهر المكان في القصيدة في قوله:

فَلَبِثْنَ حِينًا يِعْتَلِجْنَ بِرَوْضِهْ

فَيَجِدُ حِينًا فِي العِلَاجِ وَيَشْمَعُ[3]

فالروض هو مكان كان يلعب فيه ويرتع الحيوان بأمان فهو يمثل المكان الأمن والمستقر ويبعث بالراحة النفسية والطمئنينة وفي قوله أيضا:

فَشَرَعْنَ فِي حُجَرَاتِ عَذْبٍ بَارِدِ

حَصِبِ البطَاحَ تَغِيبِ فِيهِ الأَكْرَع[4]

فالحجرات هي مكان مورد الماء العذب الذي وجدته الحيوانات بعد تعب وجهد جهيد فهو يمثل مصدر الحياة قبل أن يداهم الخطر هذه الحيوانات في قوله:

(1) حبيب مونسي: فلسفة المكان في الشعر العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، (د، ب)، (د، ط)، 2011، ص 129.

(2) مرجع سابق:هيثم محمد: البناء الدرامي في القصيدة العباسية، ص 171.

(3) مرجع سابق:المفضل الضبي: المفضليات، ص 240.

(4) مرجع نفسه: ص 241.

فَشَرَبْنَا ثُمَّ سَمِعْنَ حِسًّا دُونَهُ

شَرَفُ الحِجَابِ وَرَيْبِ قَرْعُ يُقْرَعُ

ويظهر المكان بصورة أخرى رمز للموت والفناء وكأنه قبر للحيوان الثور الذي أصابه الصياد في قوله: "فكبا" أي سقط على وجهه في البيت الآتي:

فَكَبَا كَمَا يَكْبُو فَنِيقُ تَارِزْ

بِالخَبْتِ إِلَّا أَنَّهُ هُوَ أَبْرَعُ(1)

ويرمز المكان لمعاناة الشاعر واحتمالها في قوله:

حَتَّى كَأَنِّي للحَوَادِثِ مَرْوَةُ

بِصَفَا المَشْرِقُ كُلُّ يَوْمٍ تُقْرَعُ(2)

فشبه نفسه بهذا المكان الذي يقرع كل يوم بوطأة الناس ومرورهم بهم، كذلك الشاعر يقرع بالحوادث دائم وأبدا.

ومن هذا نستخلص أن المكان يتلون بحسب نفسية الشاعر رغم أن المكان شيء جامد ليس لديه أدنى ردة فعل مهما تغير الزمن وطال ولكن الشاعر هو الوحيد الذي يعطيه صبغة مأساوية أو ايجابية

3-تصور الآخر:

تتكون الشخصية الإنسانية من: الأنا /الذات، فالنفس البشرية هي الأنا، والأنا هي الذات وما تحمله من مظاهر وخصائص ثقافية أو نفسية أو ايدولوجية وما تشمل عليه من افكار، وأمال وطموحات وصراعات وبالتالي فإن الذات تشكل مركز الشعور عند الإنسان، ويشير مفهوم الذات إلى انه: ذلك التيار من التفكير الذي يكون إحساس المرء بهويته وذاته وشخصيته وتتحقق الذات من خلال التواصل والتداخل في علاقاتها المتشابكة مع الآخر فطبيعة (الأنا) خبرة شعورية تتجسد فيها وظيفة توحيد أشكال وظروف نشاط الإنسان، وتشكل الذات الأفكار الواعية وغير الواعية، والعواطف التي

(1) – مرجع سابق: المفضل الضبي: المفضليات، ص 243.

(2)– المرجع نفسه، ص 239.

تشكل معنى (النحن)، كما أن الوعي بالذات يؤدي إلى تكوين الهوية القائمة على الاختلاف والتمايز عن الآخر لأن وعي الجماعة بخصوصيتها وبذاتها يؤدي إلى وعيها بالاختلاف عن الجماعات الأخرى.(1)

وأما مفهوم الآخر أو الأخرية في منظور علم النفس فيشر إلى مجموعة من السمات / السلوكات الاجتماعية والنفسية، والفكرية التي ينسبها فرد / ذات أو جماعة ما إلى الآخرين مما يحيل إلى أن الآخر....حاضر في المجال العام للهوية.

والأخر قد يكون قريبا أو بعيدا، كما أنه قد يكون فردا، أو جماعة من الجماعات، أو شعبا من الشعوب بحيث تنتمي علاقة القرب المكاني أو البعد في تحديده، أو علاقات الصداقة والعداء فقد يكون الآخر قريبا كما يمكن أن يكون بعيدا، وقد يكون صديقا أو عدوا.

وتخضع صورة الآخر لمؤثرات ايدولوجية وسياسية وفكرية وتاريخية فهي متغيرة لا تتسم بالثبات أو النمطية بل تتبدل حسب تلك المتغيرات، ويمكن الاستدلال على الآخر عبر مستويات متعددة كالجنس / العرق، أو عبر مستوى الدين مسلم / غير مسلم، أو الطبقة الواحدة في المجتمع سيد / عبد أو حتى في المكانة السياسية حاكم / محكوم.

وتتكون صورة الآخر تبعا لأوضاع التفاعل والنشاط المشترك المباشر وغير المباشر بين الجماعات فالآخر من خلال القبيلة والأمة مرورا باللغة والثقافة هو من وجهة مثالية نموذجية طرقا نزاع أو نفي، ولكن هذه الثنائية مرت بالفكر والواقع الثقافي والاجتماعي بمراحل مختلفة، وتتخللها وسائط كثيرة تنوعت معها المسافات وتشعبت بين الأنا والآخر بحيث يمكن الحديث عن تيبولوجيا الآخر ونسق الآخرية.(2)

ويظهر في القصيدة الآخر في رثائه لأولاده وموقفه من الموت "وفي الرثاء نجد شيء يدل على أن المقصود به الآخر مثل (كان) أو (عد منا به) أو ما يشاكل هذا ليعلم

---

(1) سعد فهد الذويخ: صورة الآخر في الشعر العربي من العصر الأموي حتى نهاية العصر العباسي، عالم الكتاب، (د، ب)، ط1، 2009، ص 8.

(2) – المرجع نفسه، ص 10.

أنه ميت وسبيل الرثاء أن يكون ظاهرة التفجع بين الحسرة مخلوطا بالتلهف والأسف والاستعظام"(1)

وهنا الشاعر يرى بأن حياته كانت تقوم على الآخر (أولاده) وأن حياته تعيسة من دونه وهذا ما عبر عنه في قوله:

فَغَبِرْتُ بَعْدَهُمْ بِعَيْشٍ نَاصِبً

وإِخَالُ أَنِّي لاَحِقُ مُسْتَتْبَعْ(2)

فهو يعتبر بأن حياته غابرة بعدهم ولذلك حاول أن يبقى على حياتهم وبالتالي الإبقاء على حياته وذلك في قوله:

وَلَقَدْ حَرِصْتُ بِأَنْ أُدَافِعُ عَنْهُمْ

فَإِذَا المَنِيَّةُ أَقْبَلَتْ لاَ تُدْفَعْ

"وبهذه الصورة تظهر صورة الذات ومفهوم الآخر بالاتصال فاستخدام أي منها يستدعي تلقائيا حضور الآخر، ويبدو أن هذا التلازم على المستوى المفاهيمي هو تعبير على طبيعة الآلية التي يتم وفقا لها تشكل كل منها، فصورتنا عن ذاتنا لا تتكون، بمعزل عن صورة الآخر لدينا، كما أن كل صورة للآخر".(3)

تعكس بمعنى ما صورة للذات، أي أن هناك انشقاق في صميم تلك الوحدة المتوهمة، إن (الأنا) ليست وحدة إلا ظاهريا إنها عمقا تمزق وانشقاق (الآخر) نفسه مقيم (سلبا أو ايجابا) في قرارة (الأنا)، لهذا لا فصل دون وصل، لا (أنا) دون (الآخر).

وفي القصيدة يتضح لنا أن التجربة التي مر بها السلف تعكس مصير الذات (الشاعر) وهي الموت فمثلما ما توا سوف تؤول حياة الشاعر لزوال في يوم من الأيام ولذلك ذكرهم كتجربة في قوله:

---

(1) ينظر: ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2001، ص 166.

(2) مرجع سابق: المفضل الضبي، المفضليات، ص 239.

(3) محمد الخباز: صورة الآخر في شعر المتنبي، دار فارس، الأردن، ط1، 2009، ص 21.

كَمْ مِنْ جَمِيعِ الشَّمْلِ مُلْتَئِمُ القِوَى

كَانُوا بِعَيْشٍ قَبلَنَا فَتَصَدَّعُوا(1)

ويخرج بالنتيجة المرة في قوله:

وَالدَّهْرُ لَا يَبْقَى عَلَى حَدَثَانِهِ

حَوْنُ السَّرَاةِ لَهُ جَدَائِدُ أَرْبَعُ(2)

لذلك صور الصياد الذي طارد الحمار بصورة مخيفة لأنه بالنسبة إليه مصارع للحياة وأصبح ينظر للآخر (أنه عدو للإنسانية) فهو رمز للفناء.

ولذلك صور السلاح بانه خطير ورهيب في صورة الثور الوحشي والكلاب فقال:

فَبَدَا لَهُ أَقْرَابُ هَذَا رَائِفًا

عَجِلاً، فَعَيَّثَ فِي الكِنَايَةِ يُرْجِعُ(3)

ومن هنا نجد أنّ صورة الأنا تستند إلى تجارب وخبرات غنية عاشها الشاعر في المجتمع الذي صوره.(4)

(1) مرجع سابق: المفضل الضبي: المفضليات، ص 239.

(2) المرجع نفسه: الصفحة نفسها .

(3) المرجع نفسه، ص 242.

(4) ينظر: ماجدة حمودة: صورة الآخر في التراث العربي، دار العربية ، بيروت، ط1، 2010، ص 15.